



234- ففروا إلى الله

بدء الخلق

2026-07-03

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليُخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

أيها الإخوة الكرام: سافر رجلٌ إلى مدينة بعيدة، نام في أحد فنادقها، وفي الصباح نزل إلى موظف الاستقبال وسأله: إلى أين أذهب؟ استغرب الموظف من سؤاله وقال له: لماذا أنت هنا؟ ما الذي جاء بك؟ إن كنت جئت سائحاً فعليك بالمقاصف والمُتَنَزَّهات، وإن جئت طالباً فعليك بالمعاهد والجامعات، وإن كنت تاجراً فعليك بالمصانع والشركات، فقل لي لماذا أنت هنا، لأقول لك أين تذهب وكيف تتحرك.

القاعدة الأولى: لن تصيِّح حركتك حتى تعرف هدفك

القاعدة الأولى في هذه الخطبة الطيبة: لن تصيِّح حركتك حتى تعرف هدفك، ولن تصيِّح حركة الإنسان في الحياة حتى يعرف لماذا هو في الحياة؟ وما الذي جاء به إليها؟ وما المطلوب منه؟ وإلا كيف تصيِّح حركته وهو لا يعرف هدفه؟! رثنا جلّ جلاله يُخبرنا في قرآنه عن قوم هم الأخسرون أعمالاً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103)

(سورة الكهف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ صَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)

(سورة الكهف)

يتحركون لكن لا يعرفون الهدف، فتحركوا بخلاف الهدف، جيء بهم إلى الدنيا لعبادة الله، فتحركوا لعبادة الدرهم والدينار (الَّذِينَ صَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) يقول لك في زمن قصير جمعت مالا كثيرا، استطعت أن أصل بالحرام - والعباد بالله - إلى هذه الفتاة (صَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تحركوا تحركا خاطئا (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا).
إذا القاعدة الأولى: لن تصيخ حركتك حتى تعرف هدفك.

القاعدة الثانية: لن تسعد حتى تكون حركتك متوافقة مع هدفك

الآن: طالبٌ عنده امتحانٌ مصيري يُحدّد مستقبله، امتحانٌ مهمٌ جداً، قبل يوم من الامتحان، وهو مُنهكٌ في دراسته، وما يزال لديه الكثير لئيجزه، جاء رفاقه وأقنعه، أن يخرج معهم في نزهة جميلة، فخرج معهم، وفي النزهة كان الجميع مُستمعين بالهواء العليل، والماء الدفء، والمناظر الجميلة، لكنه كان قابعا وهو مُكثبٌ، لماذا؟ لأن حركته بخلاف هدفه، هدفه الامتحان، والمُفترَض أن يكون الآن مع الكتب وليس بين المناظر الجميلة.
إذا القاعدة الثانية: لن تسعد حتى تكون حركتك متوافقة مع هدفك، لا يمكن للإنسان أن يسعد وأن يطمئن وأن تسكن روحه، وهو يتحرك بخلاف الهدف الذي خُلق من أجله، لذلك عندما نقرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

(سورة النحل)

نفهم أنّ هذه الحياة الطيّبة، ليست حياةً طيّبة لا ابتلاءٍ فيها، ولا فقر، ولا مرض، ولا فقدٍ للأحباب، فيها كل ذلك، لكنها حياةً طيّبة، لأنّ الإنسان يشعر أنه يتحرك وفق هدفه، تماماً كهذا الطالب، المُتعب المُجهد الذي يدرّس، ولكنه مُطمئن لأن حركته ضمن أهدافه، وهدفه أن ينجح في الامتحان، لكنه لم يسعد في النزهة، رغم أنها جميلة ومُمتعة، ومع رفاقٍ يُحبّهم، ومع مناظرٍ جميلة، لكنها حركةٌ بخلاف الهدف، فلا تسعد الإنسان.
إذا القاعدة الأولى: لن تصيخ حركتك حتى تعرف هدفك.
والقاعدة الثانية: لن تسعد حتى تأتي حركتك مُطابقة للهدف الذي تسعى إليه، من هنا نفهم أيضاً قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)

(سورة طه)

وهو في قصره، وهو بين خدمه وحشمه، لكنّ ضيق القلب عنده لا يفارقه، لأنه يتحرك في الحياة، بخلاف الهدف الذي خُلق من أجله، وانظروا إلى أنّ الله تعالى قال عن المؤمنين: (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) وعن المعرضين: (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) ولم يقل حياة، لأنه لا حياة لغير الإيمان، فالحياة حياة الإيمان، أمّا الكافر فيعيش لكنه لا يحيا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَرُونَ (24)

(سورة الأنفال)

القاعدة الثالثة: على قدر عظم الهدف تكون الحركة

أيها الإخوة الكرام: القاعدة الثالثة: على قدر عظم الهدف تكون الحركة، كلما عظم هدفك كانت حركتك أعظم، فعلى قدر هدفك وعظم هدفك تكون حركتك، لما ذكر الله تعالى في القرآن الرزق، وكلنا نسعى على رزقنا، ويجب أن نسعى، وأن نمشي في مناكب الأرض، لما ذكر الله تعالى الرزق قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)

(سورة الملك)

المشي (فامشوا في مَنَاكِبِهَا) الرزق يناسبه المشي، لكن لما ذكر المولى جلَّ جلاله الصلاة قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَدَرُّوا الْبَيْعَ وَكُلَّكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9)

(سورة الجمعة)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) لأنها صلاة، والسعي هو المشي السريع، وهنا طبعاً لا نقصد الإسراع إلى الصلاة بالحركة، وإنما الإسراع بالقلب، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ إِذَا أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْنُوها وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَلَكِنْ ائْتَوْها وَأَنْتُمْ تَمْشَوْنَ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا }

{

(أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد)

الحركة مشي، لكن حركة القلب (فاسعوا إلى ذكر الله).

ولما ذكر المولى جلَّ جلاله الجئة، لم يذكر مشياً ولا سعيًا، ولكنه ذكر مُسارعةً ومُسابقة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَتَّىٰ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

(سارِعُوا) الجئة تحتاج إلى مسارعة بالأعمال الصالحة، بالخيرات، لكن لما كان الهدف هو الله تعالى جلَّ جلاله، لم يذكر المولى مشياً ولا سعيًا ولا مُسارعةً ولا مُسابقة، ولكنه ذكر فرارًا، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فعلى قدر عظم الهدف تكون حركة الإنسان، فإذا كان هدفك هو الله، فإنَّ حركتك فرائز إليه، ليس مشياً ولا سعيّاً وهو المشي السريع، ولا مُسارعةً ولا مُسابقةً، لكنه فرائز إلى الله. أيها الإخوة الكرام: لنقرأ الآيات التي جاء في سياقها الفرار إلى الله، ولنحاول بمعيتكم أن نستنبط صفات الفار إلى الله، لعلنا نكون من هؤلاء، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا يَازِيدُ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا قَيْعَمُ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مُبِينٌ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مُبِينٌ (51)

(سورة الذاريات)

الفرار إلى الله من كل شيء سوى الله، الفرار إلى الله من شهوات الدنيا وشبهاتها إلى الله تعالى، الفرار من المظاهر والرسوم إلى الحقائق والأصول، الفرار من ظلم المخلوقين إلى عدل الخالق جلَّ جلاله، الفرار من التشبُّث والصياع إلى الثبات والسكينة التي عند الله.

صفات الفار إلى الله:

ما صفات الفار إلى الله من خلال هذه الآيات؟

الصفة الأولى: الفار إلى الله يعرف ربه ويعظمه

الصفة الأولى: أنَّ الفار إلى الله يعرف ربه ويعظمه، فالإنسان إذا أراد أن يهزب من خطر، فإنَّ أول ما يخطر في باله أن يهزب إلى عظيم يعرفه، حتى يحميه ويؤويه، فهو لا يفر إلى الضعفاء، يفر إلى الأقوياء، إلى العظماء الذين يملكون حمايته، فأول صفة في الفار إلى الله، أنه يعرف ربه حق المعرفة، ويعظم ربه حق التعظيم. انظروا إلى سياق الآيات: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا يَازِيدُ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) ما يزال عدد المجرات في الكون حتى الآن يُعزأ، كانوا يعدُّون المجرات بالآلاف، ثم عدَّوها بمئات الألوف، ثم عدَّوها بالملايين، ثم بالمليارات، واليوم يقولون: إنه يُقدَّر أنَّ في كوننا المرئي تريليوني مجرة (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا يَازِيدُ) السماء بناءً ليست فراغاً كما كان يُعتقد، هي مبنية بإحكام وترابط (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ).

واليوم يختار الفلكيون في ظاهرة توسُّع الكون (وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا قَيْعَمُ الْمَاهِدُونَ) كشفت أحدث الدراسات، أنَّ أنواع النباتات والحيوانات، ليس أعداداً بل أنواع النباتات والحيوانات في الكون، تُقارب تسعة ملايين نوع، وكل نوع فيه ملايين مُمليئة منه، ويقول علماء الطبيعة، إنه لم يُكتشف منها حتى الآن سيوى عشرة بالمئة (وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا قَيْعَمُ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ) نظام الزوجية في الكون يُتحدَّث عنه في محاضرات طويلة، من الدَّرة إلى المجرة (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ) والإنسان شيء (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

الآن (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ) هذا هو الإله العظيم، الذي يقتضي أن تهزب إليه من كل ما يزعجك، من كل ما يسوؤك، أن تُناجيه، أن تطلب منه، أن تعقد الآمال عليه، ألا تخاف غيره، ألا ترجو غيره (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ) الذي خلق السماوات والأرض ونظام الزوجية (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ). أول صفة في الفار إلى الله، أنه يعرف ربه ويعظمه، فيقدر تعظيمك لله تعالى يكون اتجاهك إليه.

الصفة الثانية: الفار إلى الله خائف من ذنوبه مُحبٌّ لرَّبه

الصفة الثانية: الفار إلى الله خائف من ذنوبه، مُحبٌّ لرَّبه، قال تعالى: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مُبِينٌ) الفار خائف، يهزب لأنه يخاف من شيء، ما الذي يجعله يُسرِع الخطى؟ خوفه من التقصير بحق العبودية، خوفه من ذنوبه التي أنفَلت كاهله، خوفه من هيبة الجليل العظيم جلَّ جلاله، خائف ومُحب، مُتَّجِه على جناحين، جناح الرغبة وجناح الرهبة، جناح الخوف وجناح الطمع (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مُبِينٌ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) كرر للأهمية (إِنْ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مُبِينٌ) أن نخاف الله، أن نخشى الله تعالى، هذا يجعلنا نُسرِع الخطى إليه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة }

(صحيح الترمذي)

(أدلج) أي سار في الدُّلجة أي في الطُّلمة، ما الذي يحرك الإنسان ليقوم في الليل؟ خوفه من الجليل، خوفه من ذنوبه، خوفه من سوء الخاتمة، خوفه من عذاب القبر، يحركه إلى الله.

حكى بعض العارفين، أنه رأى في بعض السبَّك أي الشوارع، باباً قد فُتِحَ وخرج منه صبيٌ يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده من البيت، حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، ذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مُفكراً، فلم يجد له مأوئ غير البيت الذي أخرج منه، أين يذهب؟ ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزناً، فوجد الباب مُرتجاً مُغلقاً، فتوسَّد عتبة البيت ونام على عتبة داره، ثم خرجت أمه فرأته على تلك الحال، فلم تملك إلا أن رمَتْ نفسها عليه، والتزَّمته تُقبِّله وتبكي، وتقول: يا ولدي أين تذهب عني؟ ومن يؤوبك سواي؟ ألم أقل لك: لا تُخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُيِّلت عليه، من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك، ثم أخذته وضمتْه ودخلت.

الله تعالى يضرب لنا الأمثال، حال هذا الطفل مع أمه ولله المثل الأعلى هو حالنا مع الله، لذلك نحن إذا أوبنا إلى فراشنا، من أدعية النوم أن ندعو فنقول:

{ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا إِذَا أُوْبِتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ وَقَدْ أَصَبْتَ خَيْرًا تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ الْبَرَاءُ: فَقُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ: فَطَعَنَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ }

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود)

كهذا الطفل تماماً، أين نذهب؟ نريد أن نهرب فنهرب إليه جلّ جلاله، نريد أن نفرّ من عقوبته، فلا نجد باباً يقبلنا إلا بابه، فنرجع إليه هذا حالنا مع الله. أيّها الإخوة الكرام: كان الصديق رضي الله عنه يُسميكُ بلسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد" هذا الصديق. كان عمر رضي الله عنه يقرأ الطور فبلغ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7)

(سورة الطور)

فيكي بُكاءٌ شديداً حتى أشقّق عليه من حوله، هذا حال المُبشّرين بالجنّة، وكثيرٌ من المسلمين اليوم مُطمئنون، لا شك أنّ اطمئنان بعضنا هو اطمئنان الساذجين، وأنّ خوف هؤلاء هو خوف الغفلاء المُنيبين، الفار إلى الله يخاف ويُحبّ معاً، لا يطغى خوفه على حُبّه فيُصبح خوفاً مَرَضِيّاً، ولا يطغى حُبّه على خوفه فيُصبح حُبّاً مَرَضِيّاً، يؤدّي به إلى التساهل في جنب الله تعالى.

الصفة الثالثة: الفار إلى الله مُحسِنٌ

الصفة الثالثة: الفار إلى الله مُحسِنٌ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَخَذًا (110)

(سورة الكهف)

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ) فإذا أردت أن تفر إلى الله وسألك الله لِمَ جئت؟ قُلْ له: جئت لير الوالدين، جئت لإطعام المساكين، جئت لخدمة عبادك الذين تُحبُّهم، شَرَّفني الله تعالى بصدقٍ جارية، أكرمني الله تعالى ببر والديّ، حتى وافاهم الأجل وأنا في خدمتهم، إذا قَدِمْتَ على الله فاحول معك عملاً. اليوم أيّها الكرام أحذنا، وهذا خطأ لكن هكذا يُفعل في الحياة، إذا أراد أن يهزّب إلى جهنّم عظميّة، يأخذ في يده شيئاً، يقول لك: لا ينبغي أن أذهب وبدي فارغة، وإذا ذهبت إلى الله فاذهب إليه وبذلك مُمتلئة بأعمالٍ طيبةٍ صالحة، تلقى بها الله تعالى، الفار إلى الله مُحسِنٌ.

الصفة الرابعة: الفار إلى الله مَوْجِدٌ

الصفة الرابعة: الفار إلى الله مَوْجِدٌ، قال تعالى: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ مُنِيرٌ مُبِينٌ (59) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) اليوم في دُنيا الناس، لو ذهبت إلى عظيم في دُنيا الناس، وفي يدك هديّة، وطلبت منه طلباً، يقول لك: لا تُكلم غيري، هذا الناس يفعلونه، لا تُكلم غيري الموضوع عندي، انتهى، فإذا كلمت غيره انزعج منك.

{ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَعْطَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ تَرَكَتُهُ وَبُشْرَكَهُ }

(أخرجه مسلم)

فإذا ذهبت إلى الله، فإذهب مُخلصاً لوجهه الكريم، لا تذهب إليه وقلبك مُعلق بالطبيب، اذهب إلى الطبيب سبباً لكن اذهب إلى الله وحده القلب مُتعلق بالله والطبيب سبب، لا تذهب إليه وقلبك مُعلق بعلمك وحولك وقوتك، اهْزُب إليه وحده جل جلاله، واتخذ الأسباب تعبدًا، الفار إلى الله موحَّد (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ).

الصفة الخامسة: الفار إلى الله تعنيه النتيجة ولا يهتم بالمظاهر

الخامسة: الفار إلى الله تعنيه النتيجة ولا يهتم بالمظاهر، ما دُمت تُريد الله، فإن وصَّكَ الله في السقاية كنت في السقاية، وإن وصَّكَ في مُقدِّمة الجيش، كنت في مُقدِّمة الجيش، فالفار إلى الله لا يهتم الموضع، المظهر، يقول لك: أريد أن يُكرِّموني، أن يضعوني في صدر المجلس، فليضعوني أينما شاؤوا، المُهم أن أصل إلى الهدف، أن أصل إلى الله.

الصفة السادسة: الفار إلى الله يسأل في طريقه أهل الخبرة

الصفة السادسة: الفار إلى الله يسأل في طريقه أهل الخبرة، إنسانٌ بهُزب إلي جهٍ وهو لا يعرف الطريق تمامًا، فيستعين بأهل الذكر، أهل الخبرة، أين الطريق؟ هذا أفصر أم هذا؟ هذا يوصل إلى الهدف أم أنا أظنه يوصل إلى الهدف وهو يُعدني عنه؟ (الَّذِينَ صَلَّوْا سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُخْسِنُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِنُونَ صُنْعًا) فيسأل لأن دينه غالٍ عليه.

كيف لو أنَّ إنساناً أراد أن يبيع بيته، وبيته لا يملك سواه، وهو قد أنفق شطر عمره في جمع ثمنه، ثم بدا له أن يبيعه ويشترى آخر، فإنه يسأل الأول والثاني والثالث والرابع، ويحاول أن يصل إلى أفضل سعرٍ، ولا يبيعه إلا حتى يقتنع بأنه قد أخذ ثمنه كاملاً، الدين أعلى من البيت، فالفار إلى الله يسأل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

(سورة النحل)

الصفة السابعة: الفار إلى الله يمضي ولا يلتفت لا يمنة ولا يسرى

السابعة: الفار إلى الله يمضي ولا يلتفت، لا يمنة ولا يسرى، لا ينظر، عينه على هدفه، في الدنيا أشياء مُزعجة، في الدنيا مُنغصات، لن تخلو الدنيا من مُنغصاتٍ، لكن الفار إلى الله عينه مُعلقة على هدفه، فمهما كُثرت حوله الإشكالات يبقى ثابتاً لا يتزعزع، لأنَّ هدفه واضح، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ أخذ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكبي، فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ، وَكَانَ ابْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

يقول: إذا أصبحت فلا تنتظرِ المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظرِ الصَّباح، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَفِي حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ {

(أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد وأبو نعيم)

كيف أنَّ الغريب يأتي إلى بلدٍ، لا يهتم ما يجري فيها، وما يتقاتل إلناس عليه فيها، عنده أيام معدودة سُمضيها ويذهب، يحاول أن يُحسِّن هذه الأيام، أن يبلغ فيها أحسن مستوى يستطيعه، لكن لا تعنيه الإشكالات والمشكلات في البلد، لأنه مُتعلق بهدفه، والمؤمن في الدنيا غريب لأنه من أبناء الآخرة، لأن عينه على الآخرة، فيأخذ من الدنيا ما يُعينه على الوصول إلى هدفه.

الصفة الثامنة والأخيرة: الفار إلى الله يقتضي الجماعة

الثامنة والأخيرة: الفار إلى الله يقتضي الجماعة، الفار إلى الله يفُزُّ مع الجماعة، مع المجموع، لذلك قال تعالى: (فَإِغْرُوا إِلَى اللَّهِ) معاً، لا بُدَّ أن تصحب في رحلتك أحاً تثق به، إخوةً تثق بإيمانهم وتقواهم، حتى يُعينوك ويُعينهم، حتى يوقطوك على الفجر وتوقطهم، حتى ينهوك عن المُتكر إن زلت قدمك وتنهاهم، حتى تتواصى معهم بالحق وتتواصى معهم بالصبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

(سورة التوبة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَلَا
تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (28)

(سورة الكهف)

أيها الإخوة الكرام: إذا الفار إلى الله يعرف ربه يُعَظِّمُهُ، يخافه وُحْيُهُ، مُحْسِنٌ إلى خلقه، مَوْحِدٌ مُخْلِصٌ في وجهته، تعنيه النتيجة ولا يهتم بالوسيلة، يسأل أهل الخبرة في الطريق، يمضي ولا يلتفت، كأنه غريبٌ يمضي مع جماعةٍ تُعينه على الطريق.

أيها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبُوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزنَ عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تَخَطَّأَنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنُخَذَ جذرنا، الكَيْسُ مَنْ دان نفسه وعمل لِقَا بعد الموت، والعاجز من اتَّبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأمان، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم يا أرحم الراحمين ارحم مَنْ قضى من شهداء وطننا تحتسيهم عندك من الشهداء.

اللهم اشفِ الجرحى يا أكرم الأكرمين.

اللهم اربط على قلوب ذويهم، وأنزل على قلوبهم السكينة والرضوان والثبات يا أرحم الراحمين.

اللهم رُدَّ عن بلادنا كيد الكائدين ومكر الماكِرين وحسد الحاسدين، ونجِّ بلادنا من مكرهم يا أرحم الراحمين.

اللهم ابسط أمانك وأمانك على ربوع الشام يا أرحم الراحمين.

اللهم أنه قد وردنا عن نبيك صلى الله عليه وسلم:

{ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ، وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَهَمَا يَسْتَشِيرَانِهِ فِي الْمَنْزِلِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ

سَأَلَاهُ فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّامِ قَالَ : عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللَّهِ يُسَكِّنُهَا خَيْرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، فَمَنْ أَتَى فَلْيَلْحَقْ بِمِثْلِهِ ، وَلْيَسْتَقِ مِنْ عُدْرِهِ ، فَإِنَّ

اللَّهُ تَكْفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ }

(أخرجه الطبراني وابن عساکر)

فتسألك يا أرحم الراحمين أن تتكفل بالشام وأهلها، وأن تُديم الأمن والأمان، وأن ترفع مقتك وغضبك عنا، وألا تُعاملنا بما فعل السفهاء مثلاً.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك.

اللهم كُنْ لأهلنا المُستضعفين في عِرَّةٍ وفي فلسطين وفي السودان، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، وانصرهم على أعدائهم يا أرحم الراحمين.

اللهم عليك بالصهاينة المُعتدين فإنهم لا يعجزونك، عليك بهم وبمن والاهم وبمن وقف معهم في سرٍّ أو علن، بفضلك يا أرحم الراحمين.

أعلِ كلمة الحقِّ والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخُذ بيد ولاتهم لما تُحب وترضى، إنك وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.